ولعل اهم الاسباب في ذلك هو الالة والفراغ الذي تخلقه :

قلت له اننا نعقد مقارنة بين المرحلتين ٠

قال : العمل الان اصبح فنيا اكثر ويحتاج الى دقة متناهية ٠ ولم تعد المشـــكلة من هو اسرع في النقل او من ينقل اكثر من غيره ٠

قال فوزي : هذا صحيح ٠ نحن الان نقوم بتوسيع مدخل القناة ٠٠٠ وهذه العملية تستلزم تفجير الصخور على جانبي القناة بدقة متناهية ٠٠٠

قال مهندس الخرسانة : ولكن العمل الان فقد لذته ٠

قال فوزي : الان لدينا وقت اكثر للتفكير ٠

سألته : في ماذا ؟ ٠

اجاب :« في اشياء كثيرة ٠ مثلا : هل كانت ضحايا المرحلة الاولى ضرورة ؟» (ص ٧٣)٠ « الفنية » مترابطة مع « فقدان اللذة » و « التفكير » ٠ الالة والوعي والملل ٠ وهذا هو رأي الصحافي ايضا : « كلنا بدانا بأحلام عريضة ثم ما لبث كل شيء ان جف (ص ٧٨) ورأي الطبيب (ص ٣٦٢) والمسؤول الروسي الكبير (ص ٩٨) ، وهذا الحنين عند اصحـاب العالم الطارىء يطالعنا بغير وجه عند اصحاب العالم التقليدي الذين لا يصلون قراهم ومراكبهم المغمورة وعالمهم الضائع ونيلهم : « خلاص ، النيل ضاع منا خالص » ٠

الالة تصاقب عالم الحنين ، تستقر فيستقر معها ٠ هل هي التي خلقته ؟ نعم ، خلقتـــه مباشرة عند اصحاب العالم التقليدي بما انها بدلت دنياهم ، اما عند الذين تملكوها فقد ناسب تفاقمها ظهور الوعي ٠ ففي المرحلة الاولى كانت النظرة البكر هي السائدة : حماس واندفاع والنظر الى الحاضر من خلال المستقبل المتوقع بل المحلوم به ٠ اما في المرحلـة الثانية فقد زالت البكارة او البراءة وظهر الوعي بكافة ثغرات المرحلة الاولى ، كما بوضع المرحلة الراهنة نفسها ، هو وضع ما قبل الحماس ، ما قبل المرحلة الاولى ، فالمجتمـــع القديم اغتصب هذا الحماس لمآربه الخاصة ٠

٤ ــ السلطة ــ الالة ــ الدائرة

فطبيب ابي سنبل كان يحلم بالذهاب الى الريف متطوعا في خدمة الفلاحين ، فاذا بـــه الان لا يرى هدفا اخر غير تجميع المال ٠ ان حسه هذا ليس فشلا فرديا ، بل جماعيـــا، سياسيا ، الم يقل انه خلق للسياسة (ص ٣٦١) ٠ ولكن اين دوره الان ، و « مقـــاول الانفار » يرأس لجنة الاتحاد الاشتراكي ؟ كان يحلم بعلائق اجتماعية جديدة ، فـــاذا بالعلائق القديمة هي المسيطرة ٠ سقط القناع عن وجه الثورة وظهر الوجه القديم ٠ فالطبيب في هذه المرحلة يلمح البنية الاجتماعية التي ظهرت لنا في مطلع هذا الفصل ٠

غير ان هذا الوجه القديم لم تكسبه « الثورة » الا عنصرا جديدا واحدا : السلطة ٠ انها تهيمن على اجواء الرواية هيمنة الالة ٠ انهما توامان ٠ نلمحها على مستوى مختلف الشخصيات : المتعهد ، المقاول ، العسكري المتقاعد ، الجندي ٠٠٠ الكل يستمدها مـــن اعلى ليفرضها على من تحته خدمة لمآربه ٠ غير ان هذه السلطة المنبثقة ليست سوى خيالا